

الكونغرس الجديد: بداية تمرد جمهوري على ترامب

دشنت رئاسة الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، العام الجديد ببدايات صعبة أكثر مما كان متوقعاً، فهي تدخل في النصف الثاني من عمرها في ظل كونغرس جديد نصفه على الأقل ضد الرئيس، ومعه أيضاً بدأ العد العكسي لمصدر تقرير المحقق روبرت مولر، وانطلقت حملة انتخابات الرئاسة لعام 2020 قبل أوانها، وبعد يومين يبدأ الأسبوع الثالث من الإغلاق الحكومي من غير مخرج قريب.

لكن الأخطر بالنسبة للبيت الأبيض أن تتفاقم هذه التحديات والاستحقاقات بداية تمرد واعتراض جمهوري مكثفَين على أداء الرئيس وسياسته الخارجية، وبالتحديد في مجلس الشيوخ. مقال السناتور الجمهوري الجديد ميت رومني في "واشنطن بوست"، أمس، كان المؤشر الأوضح في هذا السياق. بدا بمثابة بيان سياسي لجناح "المعارضة" داخل الحزب الجمهوري. فقد تحدث من دون مواربة عن المآخذ على رئاسة ترامب، وبالذات عن خطابها وتوجهاتها وسياساتها ولو أنه أثني على الداخلية منها. سلط الأضواء على مدى الهبوط الذي تسببت به لسمعة الولايات المتحدة الأمريكية في الخارج ولتحالفاً لها، مؤكداً عدم السكوت على "السلط" بعد اليوم. مقاله بدا كرسالة تحمل أكثر من توقيع لمرجعيات في مؤسسة الحزب الجمهوري، وكخطوة أولى لاسترداد الحزب من سيطرة ترامب، بصرف النظر عن احتمالات النجاح أو الفشل.

رومني من رموز هذه المؤسسة، فهو مرشح رئاسي سابق وحاكم ولاية وجمهوري عتيق، وهو اليوم في موقع القرار في مجلس الشيوخ الذي يحتاج الرئيس فيه إلى كل صوت من الأكثريات الجمهورية التي تتفوق على الديمقراطيين بثلاثة أصوات فقط. ومن المستبعد أن يكون رومني قد تفرد بهذا الموقف اليوم من غير ضوء حزبي أخضر، لا سيما أن خميرة المعارضة موجودة، وأخذت شحنات زخم من الاعترافات على موقف الرئيس من حرب اليمن وال العلاقة "غير السليمة" مع السعودية وجريمة قتل الصحافي السعودي جمال خاشقجي. ثم أخيراً، من قراره بالانسحاب من سوريا ثم استقالة وزير الدفاع جيمس مايس.

عوامل تضافرت كلها لتدفع بالمؤسسة نحو بداية الاشتباك مع ترامب. وفي الكونغرس الآن مشاريع قوانين مضادة لهذه السياسات ومنها واحد في مجلس الشيوخ لوقف بيع السلاح للسعودية. وتعتزم كتل وازنة من الحزبين طرح مشاريع أخرى من هذا النوع للضغط باتجاه حمل البيت الأبيض على "محاسبة" القيادة السعودية في قضية خاشقجي.

وما يعزز وضع مقال رومني في هذا الإطار الجمهوري الواسع أن الرئيس ترامب حرص على أن يأتي رده على السناتور بلهجة ناعمة خلافاً للعادة في مثل هذه الحالة، وكأنه استشعر التحدي واختار التنفيس بدلاً من رد الصاع صاعين.

في النصف الأول من رئاسة ترامب، كانت كتلة الجمهوريين في مجلس الكونغرس متراصبة خلفه. تهيبت معاكسته بعد أن تمكّن من استقطاب قواудها وتحوبلها إلى "حزب ترامب". شطحاته أثارت بين اليمين والآخر انتقادات أكثر من سناتور جمهوري. لكنها بقيت اعترافات مكتومة أو خجولة وبلا مفعول، لاعتبارات انتخابية وأيديولوجية، ومعها بقي التململ تحت السيطرة.

الآن تغير المشهد بعد الانتخابات وبدا التصدّي يتبلور بصورة مباشرة ولافتة. قد ينجح وقد لا ينجح، إذا ما تعذر خلخلة القاعدة، 80 في المائة من المحافظين، التي ما زالت متماضكة في تأييدها له والتي تشكل مع شريحة من المستقلين المنحازين للرئيس، حوالي 40 بالمائة من الجسم الانتخابي. رسالة رومني تصوب على هذه القاعدة بقدر تصويبها على الرئيس لضبط خطاه على وقع توجهات الحزب الجمهوري، خاصة في السياسة الخارجية.

من المعروف أن الرموز والمرجعيات التقليدية من الحزبين، باتت تضيق ذرعاً بموافقات الرئيس ومفاجآته، بل ثمة تخوف حقيقي من خروجه على الساري والمعمول به، خاصة في ما يتعلق بالتحالفات المهددة بالتفكيك وبما مهد السبيل للصعود الروسي في غير مكان كما للتمدد الصيني في آسيا. بدايات 2019، هي مفترق طرق لرئاسة ترامب.